صرخة .. في وادٍ

قصة بقلم سليمان فياض

يعود الى البيت . يقف مكدودا امام الباب . فيسراه حقيبته. بسبابة يمناه يضغط على زر الجرس . يسمع صوته . رنينه يكركر بالداخل . لا احد يطرق باصابعه الباب . يتاكد انه لا احد وراءه. يعود ليقف على عتبة البيت . يسند كتفه الى رخام المدخل .

تعود البنت قادمة نحوه . في اثرها يأتي الولد . يسالهما :

ـ أين ماما ؟

يبعث بهما الى الجيران ، بحثا عن المفتاح الوحيد للباب . يعودان واحدا بعد الاخر ، بايد فارغة .

ـ اين حقائبكما ؟

يعطيهما حقيبة . فيتسلقان باب المنور الحديدي ، ويلقيان بها، في قلب الشرفة .

يأخذهما الى الكورنيش يجلسون معا على السور الواطىء ، يسالانه نقودا للطعام ، يعطيهما ما يشتريان به بسكويتا .

تطول الجلسة ، تمضي الساعة اثر الساعة ، تنحدر الشمس في الظهيرة ، الى الافق الغربي . ضوؤها سنان ، كضوء الضحى ، لا دفء لها ، ولا برودة ،طنين السيارات لا ينقطع .

يلح عليهما ان يضع احدهما يده في يد الاخر ، ويذهبا الى بيت الخالة ، فيتغديا ، وينتظرا طلبه لهما ليعودا ، يقبلان في النهاية كارهين . كانا جائعين .

يظل جالسا وحده ، تطوف به الهواجس . الشبابيك مغلقة. ربما تكون الان مغمى عليها ، بداخل البيت ، ربما تركت مفتاح البوتاجاز دون اغلاق . ربما دخل احد الشريرين في هذه المدينة، وخدرها ، بقطعة قطن ، مبتلة ، و ..

يمضه القلق ، يسرع الى البيت ، يقف امام باب شقته ،ينادي هامسا القطة باسمها : بوسي . لا تستجيب لندائه بصوت ، يشعر ان فارا ما يلعب فيعبه. يلمح ورقة على درج المدخل . يأتي بها،ويدفعها تحت عقب الباب . يشعر بالقطة تسحبها بأظافرها ، يجاذبها الورقة ملاعبا ، تعود الورقة اليه ممزقة الطرف ، بآثار اظافرها ، يهدأ بالا . القطة حية ، اذن فبديعة حية ، وقد خرجت، ومعها المفتاح ، دون ان تنتظره، أو تنتظر الولد والبنت . يشعر بالغضب والراحة معا .

يعود الى الكورنيش . يدخل الكازينو الاخضر .

يجلس مجهدا ومرهقا والجبين مقطب ، والفم مزقوم ، والنظرة هامدة . يضع ساقا على ساق ، يحس بهما مخشبتين ، وينسى سريعا شعوره بهما . يده تلقف بابهامها حبات مسبحة نقية الصفرة ، بعصبية ، وبلا انتظام . يرقب المشهد : مساحة ،وارتفاعا، وعمقا : احواض الزرع الاخضر وممراته . شمس خفية وراء شجرة دائمة الخضرة . ازواج العشاق ، وحركة الجرسونات النوبيين . يرقب بغير ترصد .

يستلقي النهر العريض على مقربة دانية . يجري ماؤه .يبدو باهت اللون ، راكدا ، وهامدا ،غير متكسر الصفحة . لا تومض فوقه لمعة شمس فضية ، رجراجة ،متراقصة . لا يبدو انه يجري. يبدو سجينا ، ساكنا ، كالنهر في لوحة .

أشجار الكازينو النهري ، الاصيلة منها ، تضرب بجذورها في قلب الارض ، تميل قامتها ، أغصانها الرئيسية ، تجاه النهر ، كجذورها . الاشجار عارية من كل ورقة .لا ورقة خضراء . لا ورقة جافة . لا ورقة عند الساق . تبدو الاشجار ميتة . تتقاطع الاغصان بلا اهتزاز ، او في اهتزاز ، كخطوط طفلية على ورقة رسم زرقاء ، ناعمة الملمس ، رمادية ، طباشيرية ، متسخة اللون، لكنها ناعمة الملمس ، تمتد منحنية باتساع الافق . اشكال هندسية، زخرفية ، لا نهائية ، للاغصان السميكة ، والرفيعة . ترتد كل الاغصان الى اصل واحد : الفرع ، والفرع للساق ، والساق للجذر، والجذر للشعيرات،والشعيرات للارض ، والارض للنهر . كل الاغصان، لجهة في القضاء ، تشير وتومىء . لا تلتقي لها ايماءتان . كل ايماءة تبتعد عن الاخرى ، كلما ابتعد بها المسار ، في الفراغ العالي، العالي. تبدو الاشجار حية ، مع انها بلا أوراق ، وعارية من كل ثوب ، فقدت زهورها البيضاء والحمراء ، تيجانها الملونة الغزيرة،مع الخريف ، فقدت اوراقها ،كل اوراقها ، حتى الاوراق الجافة ، على الغصينات ، وحول الساق ، مع الشتاء . تبدو حية ، وجمالها لا ينفد ، تتواثب فوقها من غصين الى غصين ، من غصن الى غصن، من فرع الى فرع ، طيور ملونة، تتقافز ، ترفرف رفرفات قصيرة ، كسلى ، ثم تقبض ارجلها بمخالب كالكلابات . آوه . الالوان والجفاف. الحركة والسكون . اين تكون الست قد ذهبت ؟! .

للكازينو سور على الشاطىء . للسور افريز من الحجر ، توازيه انابيب مجوفة ، تقبض عليها سجف من العوارض الحديدية ،تحاذيها شجيرات دائمة الخضرة ، قميئة ، ومقبرة ، عند السور اشجار

مخروطية ، اورافها كالشعر ، والابر ، وخطوط القلم الفوضوية ، في يد طفل ، خضراء ، خضرتها رمادية مغبرة . احداها في مواجهته . قرب اعلاها فجوة فاغرة من الاغصان ، واوراق الشعر ، يقترب منها قرص الشمس ، قادمة من الجنوب الغربي ، فتزدادالفجوة توهجا ، نضغم بضوء خاطف تلعين ، تتلاشى درجاته الساطعة ، من الابيض ، الى الطباشيري ، الى الرمادي ، الى الازرق الشاحب ، وتذوب بعيدا عن الشجرة ، بعيداً عن الببيت .

يأتي الجرسون بالقهوة في فنجان أبيض ، كالتسمع . يغطيه بالطبق ، وينهض . يتلفن من الكازينو الى بيت خالة الاولاد ، الى بيوت صديقات بديعة . لم يرها أحد.

تطوف برأسه احتمالات عديدة : تليفون خادع ، زيارة مفاجئة للمستشفى . يعي أن ما بجيبه من قروش ، لا يسمح بذلك ، يفكر انه يتعجل، وأن عليه أن ينتظر .ربماسافرت على غفلة ، مع صديقتها الميسورة ، المتقلبة المزاج ، الى العذبة فجاة . نسيت المفتاح داخل البيت ، أو أخذته معها ، أو ظنت انها ستعود قبل عودة الولدين، وعودته ، يعاود والجلوس سآخطا ، ويرفع الطبق عن الفنجال ،ويرشف ما بقي من وجه القهوة .

على الشاطىء المقابل ،في الضفة الاخرى ، تنتصب العمائر ،رموزا جنسية لاعضاء التناسل ، كالبرج المزركش الوحيد ، والاذن المنفوشة الالف . شرفات العمائر عيون . غرفها اقفاص عصرية ، مفروشة بفاخر الرياش . أسطحها نهايات مبتورة ، مناوحة الارتفاعات ، والمساحات ، كأقدار الخلق في المدينة . كتل من الحجر صماء ، كقلوب اهلها ، تراصت عرضا وطولا ، حفرت فيها بلا ذوق ،وبتفكير تجاري خانص ، فجوات ودهاليز . ظاهرها الغليظ خير من باطنها ، باطنها خير من قلوب أصحابها . بينها ركامات من الاشجار دائمة الخضرة ، مرمية كالليل ، مغبرة ، حائلة الالوان ، متربة ، من رمال الصحراء التي هبت بالامس ، وقبل الامس ، وسوف تهب في غد الامس ، من عارم السيارات التي تتضاعف في كل عام ، طاردة البشر من الطريق ، الى الارصفة ، والطرقات الجانبية . تبدو للعين ، بأماكنها الشاغرة ، كأنها تسير وحدها ، بلا ركاب ، ولا سائق . بينها كرمة ابن هانىء ، قليلا من طابقين ، منحف مهجور ،حمرته طوبية . اقاريزه بيضاء ، ناشزة ، تند عن جاراتها . نادرا ما تمر امامها سيارة ، او يتوقف زائر . الولد والبنت ، الان ، عبرا القنطرة ، يعبران الطريق . السيارات تنتظر مرورهما ، رجل المرور منتبه الان اليهما ، تأتي سيارة مسرعة ، متجاوزة الاشارة الحمراء . بوشك أن .... يوقفها في خياله فجاة ، فتصاب بالشلل .لا ترتج لتوقفها المفاجىء . لا تخضع لقوانين الحركة .

على النهر قنطرتان ، طويلتان ، عاليتان : قنطرة من حديد ، قنطرة من اسمنت ، الحديد صاغه « كروب » . الاسمنت صبه«عثمان». في النهر ، ترسو الى الشاطىء ، قوارب ، وضعت ، ونسيت ، لم تفارق مكانها ابدا . ترسو عوامات ، نضيء بعض نوافذها ليلا ، للكاس والانثى ، الان ، هي مهجورة ، هي منسية . أتكون بديعة هجرته مع .. لا أحد من معارفه ،او معارفها ، يقبل هذا الدور . أنضج جميعا من المغامرة . بينه وبين بديعة ما هو أقوى من الحب: الصداقة . لو كانت ستفعل لصارحته جهارا نهارا . تعلم انه لن يقف دونها . تملك دائما خيارها وحريتها . يقول لنفسه : ما جدوى ان تبقى امرأة في قيد لا ترغبه،ان يبقى رجل في سجن لا يحتمله . لو كانت قد فعلت ، فسيبقى ذلك القارب المهجور في النهار ، تلك العوّامة بأضوائها الحمراء في الليل ، ولون الكاس الذهبي ، وطيف بديعة .

تغرق الشمس المرئيات ، في فيض ضوئي ، بلا سحب ، سكون بلا حركة ، بل حركة بلا رغبة ،تزحف بكسل ، تخط هامدة ، تؤثر الصمت والركود . تستسلم للاجهاد ، والارهاق ، العمائر ،والاشجار، والقوارب ، والعوامات ، ومياه النهر ، وازواج المحبين والعشاق في الكازينو ،حتى الشمس تتحرك ببطء مستريح ،حتى الاطيار وثباتها قصيرة ، قفزاتها قليلة ، رفرفتها واهنة ، لا تكاد تهم حتى تتجمد مرهقة ، على أقرب غصن ، برهة ، وربما لحظة ، وربما ظلت ساكنة الحجر .

فجاة ، سكنت الحركة . سكنت الاشياء والاحياء . ازدادت سكونا كأنما تجمدت . اصيبت بالخرس ، هجعت الحياة : الجرسونات ، وازواج العشاق ، والطير ، وهو .. منبهرة ، في لحظة ترقب، مستسلمة للاشيء . ازدادت السماء قربا من الارض . لونها الطباشيري المفاجىء جعلها قريبة من الارض ، ضوؤها ، والزاوية « الصدفة » التي يجلس بها . لا يرى الشمس .يحدق باستسلام مسحور للحظة، للشجرة المجاورة العارية الاغصان والنفصينات ، للشجرة المخروطية، ذات الاوراق الشعرية التي وراءها ، على مقربة ، بجانب السور، للفجوة العارية منها ، والتي تقترب منها الشمس ،وتسكب عبرها درجات الضوء الابيض ، والضوء الازرق ، تسمماء وراء الشجرتين، وعبر الفجوة . يتوقف الزمن ، ينضغط المكان ، تتقارب الاشياء كأنها وضعت على باطن كف ، مرفوع امام عين ليحجب الضوء ، يخافت من وهجه الساطع على عدسة العين .

يبدو المشهد أسطوريا ، وخرافيا ، وساحرا . لم تفلح في سجنه يد . نادرا ما تشهده العين . ما تقدر الذاكرة على استرجاعه. ما يواتي احدا الحظ ،ليراه مرة في العمر ، تصبح السماء لاصقة بالشجرتين ، والفجوة ، وشمسها لا تلمح من مجلسه . ارضية المشهد ضوء فضي ، تصويري ، طباشيري ، باهر الالق والسطوع والوهج والوميض . تنطبع عليه في الصورة ، لاصقة به ، في الوهج الذائب ، الاغصان الجافة،والهامة المخروطية الشعرية الورق،والطيور المتجمدة ، المنبهرة والمسحورة ، والفجوة تضوي ، غارقة في بؤرة الضوء التصويري ، تضوي مستسلمة ، روحا نورانية ، لحظة تجلّ فوسفورية ، بارقة انكشاف . يود لو يسكن كل شيء الى الابد، في تلك اللحظة . لو تبقى الشمس لا تتحرك ، النهار لا يتحول . الليل لا يأتي . الاطيار لاترفرف. العشاق لا يتكلمون . لو يدوم المشهد القصديري ، دوام مدينة الامير يوسف ، المسحور حجرا ،هو ومدينته . يحدق في بهر لا تطرف معه العين ، لا يتحول الوجه ،يخشى لو فعل ، أن يذهب المشهد كلهفي لمحة ،ان حرك رأسه ،او حرف وجهه ، أو غيّر القعد ، او تململ في الجلسة ، او انزل ساقا عن ساق ، او حرك اصبعابحبة مسبحة . يخطط فقط ، بلمحة ،نظرة متلصصة ، الى ساعة اليد ، اليوم الثاني عشر من مارس . الساعة الخامسة الا خمس دقائق . تكن الاميرة التعيسة الحظ ، تحرك يدها بالمروحة ، تنفخ في البخور ، تتمتم بالتعاويذ ، فتدب الحياة في الحجر ، الحركة في السكون ،الصوت في الصمت ، يعي بخيبة امل ، أنها لحظة عابرة ، صنعتها الشمس ، صاغها الطقس ، والزاوية التي فيها يجلس ، والشجرتان ، والفجوة ، والاغصان الجافة ، وسكون الطير ، وعينه التي تنظر ، وروحه التي تجفعطش، ومشتاقة . لا يدوم المشهد سوى لحظة كالبرهة ، ويتحلل . يعود الزمن ، ويستيقظ المكان ، فيرفرف الطير ، وتعبث الاصابع بالمسبحة، ينقسم المكان ، فتضيق الفجوة ، وتتباعد الشجرتان ، وتتكور اللوحة والمشهد ، وتأخذ المرئيات عمقا كالذي كان ، تجسيدا كالذي حدث ويحدث .

تلفظ عيناه يمامتان ، تراهما تتبعان احداهما الاخرى .الانثى فالذكر ، أو الذكر فالانثى ، تنقران بنمقارين رماديين : حصى الارض، أعواد الحشائش ، نقد ماء لم يجف بعد . كلما خطت اليمامة تأرجحت ، على خفتها ، كالبطة،تهادت مهتزة العنق والرأس.يتذبذبان

فكانهما يجذبانها الى الامام ،او يوقفانها ، كانهما الطافه والدفة . يحدث نفسه : وليفان . لم يهجر احدهما الاخر بعد. كم يخشى ان تهجره بديعة !.

يشعر بالبهجة ، ورائحة الارض ، بالاجهاد يذوب ، والارهاق يتلاشى ، يغمض عينه ليستعيد المشهد الراحل . يحتفظ بذكرى اللحظة الماضية القريبة قبل ان تعني . يشرب المشهد على مهل . يحاول يائسا ان يذكره الى الابد .

يفقو مع المشهد ، يفلح في استعادته ثم يتبدد . يسقط في جب بلا قرار . يحس بالنهوة قد تحولت في معدته الخالية الى مخدر . تلوح له بديعة ، ساحرة العينين، لوجهها هالة اطيف . يحاول ان يخرج من الغفوة . عبثا يحاول . يسحب النعاس كل ذرةفيه. يستسلم له في سكون . يود لو يسمع ، في تلك اللحظة ،صوصوة عصفور .

يرنو الى كلب الكازينو وقطته . ترنو القطة اليه مترقبة ،وجلة، مستفزة ، خائفة ، في شعب ورغبة . يأتي الكلب بحركة من يهم بالهجوم ، تكنه لا يهجم . القطة تدرك ذلك ، فتظلوافقة ،متوفزة، تهز ذيلها ، كأنها تتحدى . يربض الكلب في مكانه . ثم يقعي ، ناصبا أذنيه ، ناظرا اليها ، ثم يرخيهما ، مريحا جسده ،ثم ينسى أحدهما الاخر ، ويستسلم في أمن ، للكسل ، يحس في داخله انه يبتسم . لا يذكر أن أحدهما قد نبح مرة ، أو اطلق مواء ، كأنما فقد كلاهما صوته من طول ما صرخ .كف الكلب عن ان يكون كلبا، والقطة عن ان تكون قطة . فقدكلاهما المخلب والاظفر . توقف هارون الرشيد ، عندما شاخ ، عن ان يكون رجلا . تابت زبيده على أن تظل انثى مذ هرمت . يظل كلاهما يرنو الى الاخر . في عجز يرنو . يتوق كلاهما الى الغناء ، والرقص ، عاريين ، صديقين، وحيدين . حلمهما لا يتجسد ، والرغبة عنيفة . يرنوان . يظلان يرنوان ، كما الكلب والقطة .

يرى نفسه فجأة في قلب واد ، لا زرع فيه ولا شجر ، لا ماء ولا ثمر . ذيل الواديينطرحبعيدا خلفه . رأس الوادي يمتد بعيدا امامه . يرى الوادي كله من الاقصى الى الاقصى ، كأنما في لوحة، كأنما في قبضة . رأس الوادي يفتح ذراعيه ، فخذيه ، وهو بين هاتين الذراعين ، الفخذين ، واقف .

يبدو الوادي ارضا صخرية ، ملونة بألوان قوس قزح ،كسلى باطياف زاهية ، في عيني مسطول : زرقاء ، حمراء ، خضراء ، صفراء ، كحلية ، بنية ، بكل الدرجات والمشتقات ،ليس بينها قط اللون الابيض ، ولا اللون ، الاسود .

تحيط بالوادي هضاب عارية ، الا من الالوان الموجائية،والطحلبية كأنها في قاع بحيرة ، جعلتها التيارات البحرية ، من حولها، في المحيط الثلجي ، بلا زمن ، ساكنة ، بلا حركة . هامدة بلا نأمة. في نقطة التعادل ، بلا كيف ، ولا جهة .

يصرخ بلا صوت . يصرخ في الوادي مناديا : بديعه . بديعه . في داخله يسمع الصوت يضج عاليا ، مدويا ، عاديا . تتردد اصداء صرخته ، من الهضاب ، والصخور ، من كل بعد ، من كل قرب ، متعددة الدرجات ، أصداء صماء : بديعه . بديعه . وبديعه تلوح له سرابا في صحراء ، طيفا في منام ، حلما في ارض خراب ، هضابها طحلب ومرجان ، صخورها أوان ، يسكنها الصمت ، والرعب ، والخراب . يعاود الصراخ بلا صوت : بديعه . بديعه . ويوسف المسحور يظل حجرا في المدينة المسخوطة ، فبديعة ما تزال غائبة ، غافية ، مهاجرة ، هاربة ، منقية ، نائية وبعيدة ، عن مدينة الاحجار ، بلا عش ، بلا دار .

يجد نفسه في غرفة طينية الجدران ، معتمة . ضوؤها بخار مضبب . يحس بأشياء غير منظورة في الحجرة : حصيرة ، ومرتبة، ووسادة . يشعر ببديعة في الغرفة معه ، ولا يراها . يتيقن انه موقوف في هذه الغرفة من قديم ، والى ما لا نهاية . متجهم ومهموم . يفتقد وجود الولد والبنت ، لكنه لا يكترث لذلك . يظل واقفا في الضوء الخصيب ، بلا انتظار ، ولا مطمح . يسمع دقا على الباب . يحس فجأة ان ثمة بابا لهذا المكان . ينظر نحو الباب كما لو كان يعرفه من قبل . بلا خطو ، بلا حركة ، يتقدم ويفتح الباب ، يرى امامه رجلا اسود ، ليس فارع الطول ، مكتنز الوجه ، بارد الملامح ، حجري العينين ، يلبس بدلة . لا تعكس بشرته انفعالا ما . يشير اليه فلا يرى يده . يسمع صوته دون ان يفتح فمه :

ـ هذه حاجتك ؟

ينظر الى حيث يشير . يرى بجانب قدم الرجل على الارض ، كيسا متوسطا من النايلون ، بداخله زجاجة من البلاستيك ، لها غطاء أحمر . الكيس خال ، والزجاجة فارغة ، يحس بالضوء معتما . يشعر ان المكان اكثر تحققا من غرفته . يرفع رأسه ويقول للرجل :

ـ لا .

يشعر ان مع الرجل آخرين . يحس بهما موجودين معه . يحسب انهما في ملابس الجرسونات . يراجع نفسه ، في انهما يرتديان حقا ملابس الجرسونات . يقول له الرجل :

ـ تعال معنا .

يجد نفسه لا يملك قدرة على سؤال ، او معارضة . يخطو معه خطوة ، ثم خطوة ثانية . يتوقف الرجل ، فيتوقف معه . يقول له الرجل :

ـ اجلس .

ينظر اليه مستفهما . يقول له الرجل آمرا ، بدون كراهية ، أو محبة :

ـ اشرب قهوتك .

ـ لكنني لا أريد ان اشرب قهوة .

يقول له الرجل آمرا ، ومنذرا :

ـ اجلس . قلت لك . واشرب قهوة .

لا يجلس . ينظر امامه عند القدمين . يرى رجلا أسود في جلباب ابيض . يتعمم بشال . امامه موقد جاز مشتعل. لا يسمح لهوشيشا. فوق الموقد غلاية ماء . يرى يدي الرجل ممدودتين فوق ركبتيه ، في جلسته القعية . يظل واقفا . يشعر أنه لو جلس فسوف تحدث كارثة. سيقتله الرجل الواقف بجواره في الحال . يفكر ان يهجم على الموقد ، ويضرب وجه هذا الرجل بناره ، في عينيه . سيصرخ في الحال . لا يفعل ذلك . يفر فقط من امامه . يخطو خطوة ، فيرى درجات سلم طينية ، قليلة العدد ، يرتقيها كمن يطير ، بلا وطء . يجد نفسه فوق سطح بيت من طابق واحد . السطح املس ، أبيض ، مغبر . فوق السطح يشهد فجأة ملعبا للكرة ، يجري فوقه لاعبون ، يحيط بهم متفرجون . يسمع ضجة داوية للعب ، للكرة ، للاعبين ، للمتفرجين . يدهش لان السطح محدود المساحة ، ويسع كل هذا الجمع . يشعر بالرعب للمشهد . ينتبه الى أن السطح بلا سور . يدرك ان الكرة لا تسقط بعيدا عن السطح . يتعجب لان الملعب بلا شبكة ، ولا قوائم خشبية ، ومع ذلك يلعبون . ينظر من حافة السطح ، فيرى تحته ابوابا قديمة ، رطبة ، بعضها مغلق ، وبعضها مفتوح . يصدر عنها أزيز نار مكتومة ، تهدر ، يشعر بأن تحت المكان مستوقدا للفول . لا يطيق ،

احتمالا . يهبط مسرعا درجات الطين . يفكر ان بديعه بالغرفة ، وان الرجل ربما ذهب اليها . يسرع نحو الغرفة ، لكن المشهد كله يختفي به ، دفعة واحدة .

يرى غابة خضراء ، واسعة ، خضرتها قاتمة ، نضرة ، زاهية ، كأنما اغتسلت لتوها بمياه المطر ، في الغابة شجيرات ، ونهر ، وجدول مبطن بالاسمنت ، واشجار متنوعة لا يعرف لها اسما ، واشجار اخرى يعرف أن اسمها المطاط . يحس بالارض تهتز من تحته ، يبتعد الى الخلف . يرى الارض تتحدب الى أعلى ، تتقلص ، وتتشقق ، كأن عمالقة يخرجون من جوفها . يرى نملا ضخما يخرج من باطن الارض . كل نملة بحجم قبضة اليد . يعي انه النمل الابيض . يدرك ان لونه ليس ابيض . يرى جيوشا تزحف كنلا بغير نظام . تأكل كل شيء . يشهدها تترك الاشجار بلا ورق ، ولا لحاء ، يرى الارض ، من وراء زحفها ، مجدبة من كل نبتة . يرى قاربا على حافة النهر ، لم يبق منه سوى عوارضه الخشبية . يعي ان الواحه قد أكلها النمل . يرى فوق القارب هيكلين لرجلين ، كانا نائمين ، وجردهما النمل من اللحم ، فلم يبق منهما سوى العظام . يفكر ان النمل سيأكل الغابة . يراه يزحف ، يزحف ، صاعدا ، هابطا ، منتشرا ، في دأب نهم ، لا يشبع ابدا ، لا يكبر ابدا ، لا تهلك منه نملة . يتمنى نارا ليحرق النمل ، فلا يأكل الغابة . سيلا يغرق النمل ، فتنجو الغابة ، يتذكر بديعة . يراها هائمة في الغابة ، مائلة فيكل شجرة عارية من الورق . يصرخ ملتاعا ، مستنجدا : بديعه .. يديعه . يدوي الصوت . يمتصه الفضاء الاصم . يفتح عينيه . يحس بنفسه لاهث الانفاس ، منسحقا رعبا ، مطحون الجسد . يرنو الى الشجرة العارية من اوراقها . يرى قرونا مثل قرون الخروب ، قرونا كبيرة جافة ، مسودة ، تتدلى من اغصانها. يجد الشمس قد سقطت وراء الشجرة المخروطية ، الشعرية الورق تقارب العمار على الضفة الاخرى . صارت مريضة ، مصفرة الوجه، بلا شفقة . ضوؤها صار اصفر فاترا . يحس بلدغة في عنقه . يرفع يده ليدلكها . تلمس اصابعه نملة ، يعود بها ، ويسحقها امام عينيه . يحس بأخرى تمشي على ساقه ، داخل جوربه ، وعند ركبته ، وفوق صدغه ، وتحت شعره . يروح يطهر نفسه باحثا عن النمل . يرى المنضدة يتناثر فوقها النمل . الارض ، تحت قدميه ، يزحف فوقها النمل ، في دأب . ينفخ النمل من فوق المنضدة . يسحق النمل على الارض بقدميه . يرى النمل يزحف متسلقا ساق الشجرة ، حول طلائها الحجيري الابيض . يطير خيط عنكبوت ويلتصق بوجهه . يفكر ان بديعة ربما لن تعود الى البيت ، واذا عادت ، فمن الذي يضمن انها لن تكون فريسة ، لهذا النمل ، هي ، والولد ، والبنت . رأى اكثر من لدغة على الولد والبنت ، وهما مستيقظان في الصباح ، وشاهد مؤخرا في البيت اسراب هذا النمل ، تمشي على البلاط ، والخشب . تظهر من وراء السجن ، وتطل من تحت الافاريز ، وتختفي بين الالواح ، وتسرح في تراب الاصص ، آكلة جذور الشجيرات المزهرة، حتى جفت . يقتلها بالمبيد ، ويغرقها بالماء ، لكن اسرابا غيرها تأتي دائما ، كأنما الارض قد صارت مخزنا لهذا النمل ، لا ينضب لـه مـدد .

القاهـرة

سليمان فياض

رحيل المرافئ القديمة

مجموعـة قصص لـ

غادة السمان

رؤى عجيبة لعالم واقعي واسطوري تحتل فيـه ماساة الهزيمة الحزيرانية حجرالزاوية، بذلك الاسلوب المتوتر واللغة الحية اللذين اصبحت فيهما غادة السمان نسيج وحدها في القصة العربية القصيرة

صدر حديثا

..٤ ق . ل